

## شخصيات روائية عميقة في مناقضاتها

# هي منسى الكتابة تاراً في.. أنتعل الغبار وأمشي

عبد الغفار العطوي

القاهرة

صدرت للروائية والناقدة والإعلامية اللبنانية السيدة (مي منسى) روايتها (أنتعل الغبار وأمشي) عن دار رياض الريس للكتاب والنشر الطبعة الأولى 2006م التي تقع في نطاق روايات الريبورتاج ، وتعنى بسرد تفاصيل حياة أفراد يعرفون من خلال عمليات تتبع صحافي وإعلامي ، ولم تكن شخصياتهم مبنية وفق مقاسات الكتابة الروائية بالضرورة ، وهم يتواجدون في الحياة أكثر مما هم على الورق ، وبذلك تصور الرواية بمجملها سبقاً صحفياً للكتابة وبطلتها التي جاءت على شكلها الهينة والإنسانية والإعلامية ، ولا تتوقع من قراءتنا للرواية بعد (6) سنوات من صدور طبعها الأولى سوى التأكيد على التلميحات الجريئة التي حملتها عن أسباب نشوب ماضي الحروب في الشرق المستبد الطائش ، وتحمل الغرب العنقاني المسالم لهذه الماسي منزعجاً الغل والبراعة في أن من أناس تضرروا من حروب الشرق المحلية ، وفوراته البرية ، وكانوا هم وحدهم حطية ونيرانه ، ليقلوا العناية والشار الناعم تمهيداً في العودة لبلدانهم التي اجتأوا منها مرغمين ، محملين بالكه الهائل من التكتيل والثار ، لكن على الطريقة الغربية التي تستنقذ الثقافة الناعمة من أجل محق الهوية الوطنية بشئ الطرد والوسائل ، كالكتابة والصحافة والتعامل الإنساني مقابل الإحساس بالانتقام ، والتهاكك على اللمسات العاطفية العالمية التي تبعد شبح هاملت عن مخيلة البطلة في الرواية ومن يخالطها ، فما بال الكتابة لو تحولت إلى حصانة ضد ثقافة التكتيل والأعتيالي الرمزي؟ وماذا سيحدث في عالم الرواية من الإماتات فاجعة تحتملها البطلة (ماريا) وحدها مع عامة النجم.

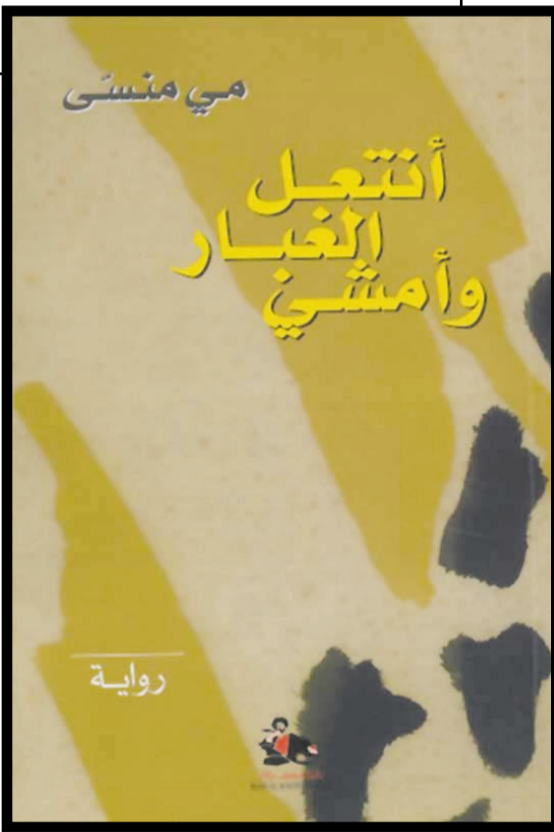
### الصفحة الواجهة

2- ما تطرحه رواية (أنتعل الغبار وأمشي) شيثان ، بيان لثقافة الثار والتكتيل ، وإنها كرامة عامة لدى كل الشعوب والأفراد على الكرة الأرضية ، وعبر العصور تاتي نتيجة رد فعل طبيعية على تجربة أذى وعدوان ، وتاريخاً قوياً من فرد أو أكثر أو جهة أو أكثر على فرد وجماعة القاسم المشترك بين كل هذا الشعوب بالظلم والحقف والانتكاس والمذلة ؛ فيحدث الثار ويتعاظم خطره ويترامج باسه وتتصاعد وتيرة الذات في طلب الانتقام لنفسها باختلاف الوسائل والأساليب ، والشئ الثاني الأهم في حرص الرواية على تبيانه وهو موضع شك وريبة بالنسبة للقارئ العربي الذي دائماً ما يؤمن بنظرية المؤامرة ، فمتخصص بإظهار طريقة التصرف مع دافع الثار ، أي كيف يكون رد الفعل باتجاه طلب الثار ؟ إذا علمنا أن هناك طرقاً عديدة في جني الثار وقطف ثمره التي سرعان ما ينضج ويستوي على نيران حامية ومستعرة ، ومنطلق معالجة آثار الثار والتخفيف من حدة وقعه وتلافي نتائجه الجانبية السلبية كان مع الأسف غريباً ، من حاضرة الغرب وثقافته الهادئة العقلانية ، بل من جوهر المسيحية المزمته التي لا تؤمن بالنعف طريقاً لرد الصفعة الموجهة للره ، بل الثاني في أخذ الحيطه والحذر في توجيه اللكمة المناسبة للخضم ، ولعل الكتابة قد أدركت امتعاض قارئها الشرقي المشبع بالرجولة العقائدية التي تحفز على طلب الثار وتشديد فاتورة الدم الذي يستغفر المرء العربي ؛ فقامت بتقسيم الثار إلى جزئين ، الجزء الإنشوي الأكبر والأكثر صرامة من نصب البطلة (ماريا) ورحلة غربتها من لبنان في مرفأ بيروت حتى باريس ، في مؤسسة مسيحية لرعاية الأيتام ومشردي الحروب في نصف العالم الهمجى ، رحلة الثار الصامت الملايين الذين تدفق بهم الحروب للعيش في والغربة القسرية عن أوطانهم والعيش في أوطان غيرهما مقطوعي الهوية والانتماء ، والرواية على سباعتها تكثف بثقافة التكتيل بضحايا القتال الإنشوي ، وتتقد بانواع الثارات والمطامع الفردية لشخصيات حقيقية تبع عالم الغرب الرجيم الرؤم الذي يدس بالعمس جنوداً من السم ، فاضاحاً فقرر ميراث وذرابع الثورات العربية لا ترقى إلى بشاعة ما تركته من قتل ودمار لأبناء بلدانها في مفارقة صارخة لا يعجزها غربال السياسة والحكومات والمذاهب والأديان الخفية التي تساهم في تاجيح روح الانتقام 1- كما قلنا في البداية إن الكتابة هي منسى حرصت على بناء عالم روايتها على البيوروتاجات التي تجديها في حياتها المهنية ، نحن لنبس ذلك عبر عائلتها على السريعة التي وطفقتها للبطلة (ماريا) وإحاطتها بالثقافة والصحافة والتغطيات في المناطق الساخنة من عالم الشرق ، وتهيئة الظروف والمناخات الملائمة لترعرع موهبة نادرة في تربة اصطناعية ثقافية ، وما يقرا الرواية أيضاً لا يستطيع أو لا يستغرب الحمينة والعاطف في عرض البحر وبطلتها ، من هنا السيدة مي منسى هي الأقرب للبطلة التي من الممكن أن تكون الناطقة بلسانها العاجز عن النطق ، ولخصائصها في إظهار أن نواضع أهداف ثاره لا بد أن تنتهي إلى كارثة يدفعها الفقراء السذج من الناس أمثال سامر ، وإن الشرق ما فتأ يغذي بالتكتيل والثار بالتضحية ، ولهذا تخلف الرواية عند مفترق طرق .

مي منسى



الكتابة مي منسى حرصت على بناء عالم روايتها على البيوروتاجات التي تجديها في حياتها المهنية ، لنبس ذلك عبر الثقلات السريعة التي وطفقتها للبطلة (ماريا) وإحاطتها بأجواء الإعلام والصحافة والتغطيات في المناطق الساخنة من عالم الشرق ..



الامتحانات القاسية لاكون جدية بها وأهلاً لها ص 65 ومن الملتق للنظر تتبع مفهوم الكتابة بالنسبة لماريا في سفرها مع اماليا إلى مسقطراس الأخر كمبوديا ، والقائه مع محوز يقرأ قدر الإنسان ورسائله على الأرض 122ص لتتطابق كلمات العراف (شع) الموجهة إلى اماليا التي قالت عنها ماريا وتخت ألقاها كرخة ترد على الزواج وتنتق منها شرحاً وهي تدون على ورقة ما كان العجوز يستخسر في تلك الأونة من غيب مضى ورويا كما سياتي ، وين يديه يدي المعلقة بحس من حرارتها مسار حياة حيث الكتابة كما يقول العراف قبل أن يتوارى في أجسام الأرن العالوية وهو يفتخ إلى ماريا (الأهنة) يلهون بأقلاق وتعذيب ، أكتبي ، الكتابة شر لا بد منه للانتصار عليهم) وعلى ضوء نبوءة شنع التي بشرت ماريا بانها عدة حياوات وعدة ميمات ، وافقت صديققتها كمبودية التي شاركتها حياة الميمت الباريسي والحادثة العليمة بعد إلتقالهما من المؤسسة في الشقة والعمل في المطبعة لئلا ومعهد الصحافة والتسرع في ليل باريس الملئ والنسالي الععمل الصحفي على ما قاله (شع) إن الكتابة في حياواتك شر لا بد منه أظنه لي صواب وهو يقرأ ما في سرك من ولع للكتابة ، وهذا ما تحقق فعلاً في نقلتها الصحفية الجريئة في بغداد بعد الاحتلال الإسرائيلي المحتظ بالانفجارات والماسي والمخاوف وتعريفها على نماذج من المواطنين العراقيين ككوثر والطفلة نجوى ومياساتيه التي قتل أمه ولكني أصام ماريا ، وكذلك الصومال ونيجيريا وساحل العاج وأخيراً بيروت ، نعم لقد صدقت نبوءة العراف ؛ إن الكتابة شر لا بد منه في هياتات ماريا وصراخها الذي يملأ البيت في مناماتها وهي ترى أمها مخرجة بدمائها والظهور الكوسر تهم في الإقتضاض عليها ص 127 تتسائل وهي تسمع سايد وهو يقول قطعتم عهدا على ذاتي بالثار لو ادتي وسافي هذا العهد حال بلوغي سن الرشد المجرم سيليقي عقابه ، ومقاطعة الأخت روزيت بصوت حد تشفيرة على جرح نازف له الثار يا سايد من تعاليم الشيطان أنه طريق مسدودة أمام طموحات الإنسان صل كل يمتدك الله نعمة الغفران ، بالغفران نقال الحربة (وردت امي في بالي فوراً ، كاتي أسهلنا إن كانت هي أيضاً تطلب مني أن أثار لها ، أطقبت عيني أظرد الصورة المائلة أصامي لعل سايد كما يعرف الجباني الذي قتل أمه ولكني أصام الرجل الملتذ الذي استباح البيت وأهله ابانستعلي أن أعلن قوتي على جيش دخل برمته إلى الوطن ليمرد ويقتل وينهب ثم يحرق الأخضر والنابس ليخفي معالم الإنسان فيه ويقيم سلطته عليه ص 38 الكتابة خلدت هذه الكلمات بعد سنوات بعد خروجها من الميمت ومقتل سايد الذي أجبته ماريا وانظرتبه لكنه لم يعد وجد جثة هامدة في مكان قريب من قريته في الصومال ، ظلت تطاردها الكتابة بهذه الصورة في المنام والبظفة ، في سفرائها المتكررة إلى البلدان المتضررة من عوامل الثار كما في كمبوديا المخيمر الحمر وقادهم بول وما اقترفته من فظاعات وحشية ، وكذلك العراق ما بعد الاحتلال الذي جاءته ماريا تحت غطاء المهمة

محور الحكاية في رواية كتبت على مرحلتين ، عبر نظام الريبورتاج الصحافي ، ثم صبت في قالب روائية دون أن تفقد نكهة الخبر الصحفي وولا طعم وخطورة الاستطلاعات الصحافية مع تغير واحد يتعلق بتعميق شخصية ماريا وقيامها بادوار مختلفة ، دور الضحية ، دور الكيماء ، دور الكاتبة دور العاشقة الفاشلة دور العاشقة الوفارية ، دور المغتربة ودور الفتاة غير الشرعية الخ - وأن تكون شرعية الكتابة لديها مجردة وفق رؤية الكاتبة ذاتها السيدة مي منسى ، فلو نظرنا إلى حثيات الرواية نجد إنها قد انتزعت قطعة مبنية من روح الشرق ووضعتها في حاضنة الغرب ، بالتاكيد ستفشل محاولات التلاقح بين عالمين متنافرين في البسطة والثقافة ؛ بيد أن المطلوب ياعني وضع الرقابة العلمية على عملية الأخذ بالثار بالميزد من العقلانية ، ف رؤية الكاتبة غامضة إزاء ما تريد أن نقوله لحاضنتها ، وتصرفات بطلتها ماريا غير منطقيية ولا مدروسة وتتم عن ذهنية منشوشة ، غير أن الرواية طرحت قضيتين مهمتين ، الأولى إن الشرق شرق والغرب غرب كما تصوره الروائي فلوير لا يلتقان ، الأول يحتضن الحروب المحلية والخيبات والتشرد والتهجير والفقر والاستبداد والذات الجريحة والنهنية المهزومة ، والثاني يعج بالسلام الأملي والوفاقة والاستقرار والرفاهية والحرية والذات الوابية والذهنية الصافية ، أما القضية الثانية وهي افتراضية ومحفوفة بالأخفاق ماذا لو التقيا ال الشرق والغرب على أرض واحدة كمحاولة تحصيل العقاب لمرتكبي جرائم إنسانية ؛ القضية الثانية التي أحكمت الطوق على شخصيات الرواية فرت للقارئ ثقافتهم ، فالشريفون ماريا وسامر وأمهما وابوهما وعمهما وساييد واماليا وصاحب الزورق والكاهن الذي أوى سامر وكوثر ونجوى وغيرهم الملايين يحملون فكرة الثار كمطلب يعادل وجودهم وضمايرهم المكتوبة التي تتحفر لنيله دون التفكير بعواقب الأثر المتراكم عليه ، لهذا كانت حياواتهم هي عبارة عن لهات وراء استحفاق ضمني لا مبرر له ، ماريا واحدة من هؤلاء ظلت تطرد شبح الثار لراحة ضميرها الذي يفرغ بوابة الإستراحة الأبدية التي تنشدها أرواح والذنها التي ماتت وهي تدافع عن ولدها سامر وساييد الذي لا تعرف هل أخذ ثاره من عمه في الصومال ونجوى العراقية التي فجرها انتحاري أراد مقاومة الأمريكان مع أطفال عراقيين هرعوا لالتقاط حلوى المحتلين ، وولا العناية الإلهية وصله الوصل بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي قلب موازين القوى لصالحها في تكتيك الضمير لحصلت الآخرين في الثار الهجج والضمير في عداد الملايين من رحمة الذين يفضلون شريعة الغاب على حكمه العقلاء الغربيين ، لقد فترت من عالم الاستبداد نحو عالم العقولانية وأنا متضامن معها قلباً وقالباً ، وميراث الرواية أولئك الغربيين الذين عرفوا وخبروا عالم الضغينة ومدوا لها السبل للوصول إلى تطهير النفس منها فكانوا الأخت روزيت الراهبة والإستاذ الكسيس برنار وصديق ماريا الصحافي الوفي جوليان وسديته الحسنة سورا وشهيدة الشقيق المغنفة الأوبرالية جينيفاف لاورو الغائبة الحاضرة وصدي نسوة فلوير كايما يوفاري والشهيدة في الغرام إيرينا والشاعر الولهان العاطفي ميخائيل ج وملادين من الغربيين الذين أخفوا علامات الجبنية تحت أغطية اللطافة والبنشاشة ، وتعاملوا مع الآخرين بالكياسة المصطنعة ، وانطلاقاً من حاضرة الغرب تحولت فكرة الثار إلى كتابة في الثار حملتها ماريا مشكاة معلقة في روح جدها الذين ولم تصرح بضعفاتها حتى في السابعة العسرة حينما تعاملت بالورقة في المقهى بالوعد المخروب مع والدها العائد إليها بعد أن رمت الماضي كله وراء غربتها تقول ماريا عنه في نخط رويهاها المغايرة (هذا الغربي الجالس قبالي في هذا الامتحان الصعب كان يوسع الفدر الظالم إن جبنيتي حشوره ص 140 ، ماذا أتى ؛ وبأذا كل هذا التوتير والانتفاخ سيمتجها رسالتى المكتوبة الخ ص 146 وحتى عندما رفضت عرضه وكشف حقيقة مولدها وأخبا ، منكرأ نسيمها الأبوي إليه بل من رجل لأن كان عشيقاً لامهها ما تصمد بل وصفته بهذا الرجل المقتب سيمتجها رسالتى المكتوبة الخ ص 147 ولما تمارى بالفصحية قالت (أنت مديونة لي بست سنوات من عموك اتهمت خلالها وإجباتي نحوك من أقساط مدرسة وكنت ودياب وادوية وغذاء ، وحملتك على اسمي لأستر خطيئة أمك لم أكن رجلاً مثالباً بالأخلاق لكن جنبي الجارف لها جعلني أقدم على الزواج منها لأقهر عشيقها وأثار منه -بقتله والرحيل عن البلاد) قد تكون كذبة أفتعلها الأب لإيقازها ، لكن شتان بين الثارين ، لو قتل بالاسم وقدم الآن ليثار من ماض لا دخل لماريا به أصلاً ، ولم تصنعها مطلقاً ، هي سامتحت أخطاه ووضعت عن قولاته ونفخته نصف مرتبتها الشهرية من عملها في الصحيفة وانطلقت للعشيق لتليل من رجفة ، لقد غيرها العالم الغربي وحصنت الكتابة في حضن الغرب رويهاها مفهوم الثار ، وإذا لم تحظ بجد سايد الشرقي ، فإنها جننت من عشقها الغربي في شخصية يوفارية أخرى هي إيرينا عبيلة المغنفة الشابة جينيفاف لاورو وغرفت في تيار اللذة الشافية التي تترع حولها جوليان من الوقوف فيها لكنها لم ترع كانت تندفع نحو ميخائيل بسرعة الألم المض في روحها وفي كوابيسها تقول ماريا ص 193 ووجدت نفسي بين نارعيه ، بجاجة وعنفى بالقتل كان وجدانياً مثلي ، بجاجة إلى جسدي امرأة يدوب بين أحضانها وكنت أنتعل الغبار وأمشي رواية مي منسى دار رياض الريس للكتب والنشر 2006م.

الامتحانات القاسية لاكون جدية بها وأهلاً لها ص 65 ومن الملتق للنظر تتبع مفهوم الكتابة بالنسبة لماريا في سفرها مع اماليا إلى مسقطراس الأخر كمبوديا ، والقائه مع محوز يقرأ قدر الإنسان ورسائله على الأرض 122ص لتتطابق كلمات العراف (شع) الموجهة إلى اماليا التي قالت عنها ماريا وتخت ألقاها كرخة ترد على الزواج وتنتق منها شرحاً وهي تدون على ورقة ما كان العجوز يستخسر في تلك الأونة من غيب مضى ورويا كما سياتي ، وين يديه يدي المعلقة بحس من حرارتها مسار حياة حيث الكتابة كما يقول العراف قبل أن يتوارى في أجسام الأرن العالوية وهو يفتخ إلى ماريا (الأهنة) يلهون بأقلاق وتعذيب ، أكتبي ، الكتابة شر لا بد منه للانتصار عليهم) وعلى ضوء نبوءة شنع التي بشرت ماريا بانها عدة حياوات وعدة ميمات ، وافقت صديققتها كمبودية التي شاركتها حياة الميمت الباريسي والحادثة العليمة بعد إلتقالهما من المؤسسة في الشقة والعمل في المطبعة لئلا ومعهد الصحافة والتسرع في ليل باريس الملئ والنسالي الععمل الصحفي على ما قاله (شع) إن الكتابة في حياواتك شر لا بد منه أظنه لي صواب وهو يقرأ ما في سرك من ولع للكتابة ، وهذا ما تحقق فعلاً في نقلتها الصحفية الجريئة في بغداد بعد الاحتلال الإسرائيلي المحتظ بالانفجارات والماسي والمخاوف وتعريفها على نماذج من المواطنين العراقيين ككوثر والطفلة نجوى ومياساتيه التي قتل أمه ولكني أصام ماريا ، وكذلك الصومال ونيجيريا وساحل العاج وأخيراً بيروت ، نعم لقد صدقت نبوءة العراف ؛ إن الكتابة شر لا بد منه في هياتات ماريا وصراخها الذي يملأ البيت في مناماتها وهي ترى أمها مخرجة بدمائها والظهور الكوسر تهم في الإقتضاض عليها ص 127 تتسائل وهي تسمع سايد وهو يقول قطعتم عهدا على ذاتي بالثار لو ادتي وسافي هذا العهد حال بلوغي سن الرشد المجرم سيليقي عقابه ، ومقاطعة الأخت روزيت بصوت حد تشفيرة على جرح نازف له الثار يا سايد من تعاليم الشيطان أنه طريق مسدودة أمام طموحات الإنسان صل كل يمتدك الله نعمة الغفران ، بالغفران نقال الحربة (وردت امي في بالي فوراً ، كاتي أسهلنا إن كانت هي أيضاً تطلب مني أن أثار لها ، أطقبت عيني أظرد الصورة المائلة أصامي لعل سايد كما يعرف الجباني الذي قتل أمه ولكني أصام الرجل الملتذ الذي استباح البيت وأهله ابانستعلي أن أعلن قوتي على جيش دخل برمته إلى الوطن ليمرد ويقتل وينهب ثم يحرق الأخضر والنابس ليخفي معالم الإنسان فيه ويقيم سلطته عليه ص 38 الكتابة خلدت هذه الكلمات بعد سنوات بعد خروجها من الميمت ومقتل سايد الذي أجبته ماريا وانظرتبه لكنه لم يعد وجد جثة هامدة في مكان قريب من قريته في الصومال ، ظلت تطاردها الكتابة بهذه الصورة في المنام والبظفة ، في سفرائها المتكررة إلى البلدان المتضررة من عوامل الثار كما في كمبوديا المخيمر الحمر وقادهم بول وما اقترفته من فظاعات وحشية ، وكذلك العراق ما بعد الاحتلال الذي جاءته ماريا تحت غطاء المهمة

4- تبقى شخصية البطلة الإنشائية (ماريا)